الحنين والغربة

في الشعر الأندلس

دكتـــور

لحيدان ناصر حمود اللحيدان

مدرس الأدب العربي

في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الرابع ٢٠١٩م

الحنين والغربة في الشعر الأندلس

لحيدان ناصر حمود اللحيدان

قسم الأدب العربي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوعاً مهماً كان له حضوره في الأدب الأندلسي ، وهو " الحنين والغربة في الشعر الأندلس " ، وفي إطار من المنهجية البحثية تناول البحث الاغتراب من خلال التأثيرات النفسية والشعورية علي تجربة الشعر الأندلسي ، وذلك من خلال الحديث عن صورتين هما : الغربة النفسية وذلك بالكشف عن بواعثها وأسبابها ومظاهرها وأثارها ، وكذلك الغربة السياسية والحديث عن أسبابها ومظاهرها وأثارها ، كل ذلك من خلال منهج تحليلي للنص الشعري .

وتناول البحث – أيضاً – الحديث عن الحنين باعتباره نزعه وجدانية إنسانية ، بعد أن تمثلت بوضوح في الحنين إلي الوطن والأهل والأصدقاء والأحبة ، وكثيراً من التجارب الشعرية الأندلسية قد تعانقت فيها الغربة والحنين ، ولقد أشعل جذوة هذا ما اعترى بلاد الأندلس من ويلات وسقوط مدتها واغتراب أهلها.

الكلمات المفتاحية : الحنين – الغربة – الشعر – الأندلسي – الوطن

Research Summary

This research deals with an important subject that has been present in Andalusian literature, namely

"Nostalgia and alienation in Andalusian poetry," In the framework of the research methodology, the research dealt with alienation through psychological and emotional influences on the experience of Andalusian poetry, through talking about two forms: psychological alienation by revealing its motives, causes, manifestations and effects, as well as political alienation and talk about its causes And their manifestations and effects, all through an analytical approach to poetic text.

The research dealt also with nostalgia as a human sentimental tendency, after being clearly represented in nostalgia, friends, family and loved ones, and many of the Andalusian poetry experiences have embraced alienation and nostalgia

Key words: longing - alienation - poetry - Andalusia – home

مقدمة:

شعر الحنين من الموضوعات التي طرقها الشعراء قديماً وحديثاً، وتمتاز بالعاطفة الصادقة والأحاسيس الحزينة المتأججة، فهو تجربة شعورية خاضها الشاعر معبراً عن شعوره بالفقد والاغتراب من خلال أشعاره الرقيقة التي لا يكاد يخلو منها أدب أمة في الأمم(١).

الحنين والاغتراب في اللغة:

الحنين في اللغة هو الشوق والعطف والرحمة، فيقال "حن" غليه و"يحن" فهو "حان"(٢). أما الاغتراب فهو الذهاب والتنحي عن الناس، فقال غرب في الأرض، وأغرب إذا أمعن فيها، والتغرب: البعد، والغربة: النزوح عن الوطن، والتغرب عن المكان الذي يقيم فيه الإنسان، والاغتراب والتغرب: البعد، والتغريب: النفي عن البلد(٣).

مفهوم الوطن وتطور دائرة الحنين والاغتراب:

ويمكننا القول بأن الإنسان "منذ أن بدأ يضرب في الأرض قد حمل بين جوانحه ضروبا من الإحساس بالغربة حتى تلونت قطاعات عريضة من أدبه بهذا الإحساس"(٤).

وتأسيساً على ذلك فإن الحنين إلى الأوطان يعد نزعة وجدانية إنسانية تشمل كل العهود ومختلف الأزمان، وسواء أكانت هذه النزعة في الحنين إلى موطن الشاعر الأول أم تتمثل في الحنين والاشتياق إلى الأهل والخلان والأحبة، فإن المشاعر تبقى هي هي، من حيث

(١) مها روحي الخليلي، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي، ص١٨.

(٢) ينظر ابن منظور (ت٧١١هـ): لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م، ج١، مادة حنن، ومادة غرب.

(٣) المرجع السابق، الموضوع ذاته.

(٤) د. ماهر حسن فهمي: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط١٩٧٠م، ص٧.

شدة الوجد والأسى، وشكوى الدهر، ولله در حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) عندما أكد على أن أفضل الموضوعات الشعرية تلك التي تشترك كل النفوس في التعلق بها"[١].

والمتأمل في أشعار الأندلسيين يجد أن نزعة الحنين، ضاربة بجذورها في المجتمع الأندلسي، مستولية على أعماقهم، فتلاحظ أن الإحساس بالغربة، يستبد بالشاعر الأندلسي، حتى حين يرحل من مدينة إلى أخرى، داخل الأندلس نفسها[٢]، والمقطعة التي قالها الأمير عبد الرحمن الداخل "صقر قريش" (ت١٧٢هـ) عندما فر إلى الأندلس، ورأى ذات يوم نخلة بقصر الرصافة في ضواحي قرطبة، فتصور المشابهة بينه وبينها، فكلاهما من الشرق مجلوب إلى الغرب، وغريب عن بلده، فقال منفسا عن مشاعر الحنين المؤلمة، وكوامن عواطف الغربة القاسية[٣]:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت: شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلى

فالشاعر عندما رأى نخلة وقد نبتت في أرض الأندلس التي لا عهد لها بهذه الشجرة، قد حركت أشجانه، وتصورها غريبة عن البيئة التي تكثر فيها وتعرف بها وهي المشرق، موطن الشاعر وبيئته الأولى، فأحس بالحنين إلى أهله وإلى مواطن ذكرياته، فهذه النخلة تحولت إلى دلالة نفسية أثارت لديه دوافع الشوق والحنين، وتمنى لو

(١) حازم القرطاجني: كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢ ١٩٨١م، ص٢١ وما بعدها.

(٢) ينظر د. فوزي سعد عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢ ١٩٩٦م، ص١١٥.

(٣) المقري (ت ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١٩٦٨م، ج٣/٥٤.

كانت رؤيته لها في وطنه الذي ألف مكانها هناك وأحبه، ويرجح رأينا هذا قوله[١]: (الخفيف)

أيها الراكب الميمم أرضي أقر من بعضي السلام لبعض
إن جسمي كما علمت بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وعلى أية حال، فإن أنواع الحنين قد اتسعت وشملت نواحي أخرى لم تكن موجودة في العصر الأموي، لاسيما بعد سقوط المدن واضطرار الشاعر لترك مدينته والبعد عنها والشوق إليها، فقد شهدت قصيدة الحنين تطوراً ملحوظاً في العصور التي تلت هذا العصر، سواء أكان هذا التطور يشمل أغراض الشعر، أم كان يختص بالنص الشعري نفسه ومدى تأثره بهذه المشاعر في الموسيقا والصورة[٢].

ومن الأمثلة الناطقة على شعر الغربة في القرن الرابع قول حسان بن مالك (ت. ٣٢٠هـ) الذي عصفت به رياح الفتنة البربرية، ودفعته إلى ترك داره وأبنائه[٣]: (الطويل).

سقى بلدا أهلي به وأقاربي غواد بأثقال الحيا وروائح
تذكرتهم والناي قد حال دونهم ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
ومما شجاني هاتف فوق أيكة ينوح ولم أعلم بما هو نائح
فقلت اتئذ يكفيك أني نازح وأن الذي أهواه عني نازح

(١) ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ): الحلة السيراء في أشعار الأمراء، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١٩٦٣م، ج١/٣٧.

(٢) أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١٩٥٥، ص٧٩.

(٣) الحميدي (ت ٤٨٨هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط١٩٦٦، ص١٩٦.

ولـي صـبية مثـل الفـراخ بقفـرة مضـى حاضـناها فاطحتهـا الطـوائح
فمـن لصـغار بعـد فقـد أبـيهم سوى سائح فـي الـدهر لـو عـن سائح

إنهـا شـكوى عارمـة امتزجـت فيهـا الغربـة بـالحنين إلـى الأبنـاء الصغار، الذين لا يقوون على تحمل أعباء الحياة بدون أب.

وفـي القـرن الخـامس الهجـري ازداد شـعر الحنـين تطـوراً، وخيـر دليـل علـى مـا نقـول هـو مـا نجـده مـن شـعر لابـن دراج القسـطلي (ت ٤٢١هـ) يحـن فيـه إلـى زوجـه، ويجسـد فيـه مـدى ارتبـاط الشـاعر الأندلسـي بموطنه ومسقط رأسه، حيث يقول[١]: (الكامل)

قالـت وقـد مـزج الـوداع مـدامعا بمـــدامع وترائبـــا بترائـــب
أتفـرق حتـى بمنـزل غربـة كـم نحـن للأيـام نهبـة ناهـب

أمـا فـي القـرن السـادس الهجـري فقـد بـرز الرصـافي البلنسـي[**] (ت ٥٧٢هـ) الـذي كـان أحـد شـعراء ذلـك القـرن، ومـن الـذين غـادروا مـدنهم وحنـوا إليهـا، فقـد غـادر مدينتـه بلنسـية صـغيراً متجهـاً إلـى مالقـة بالجنوب، فقال متشوقاً[٢]:

بـلادي التـي ريشـت قويـديمتي بهـا فريخـــا وآوتنـــي قرارتهـــا وكـــرا
مبـادئ لـين العـيش فـي ريـق الصبـا أبـــى الله أن أنســـى لهـــا أبـــداً ذكـــرا
لبسـنا بهـا ثـوب الشـباب لباسـها ولكـن عرينـا مـن حـلاه ولـم تعـرى
أمنزلنـا عصـر الشـبيبة مـا الـذي طـوى دوننـا تلـك الشـبيبة والعصـرا

(١) ابـن دارج القسـطلي: ديوانـه، تحقيـق د. محمـود علـي مكـي، منشـورات المكتـب الإسـلامي، دمشـق، ط١٩٦١م، ص٤١.

(**) هـو أبـو عبـد الله محمـد بـن غالـب الرصـافي، ولـد فـي بلنسـيه، سـكن مالقـة، وتنقـل بـين مـدن الأنـدلس والمغـرب اتصـل بعبـد المـؤمن بـن علـي ومدحـه بقصـيدة مـن جملـة الشـعراء الـذين اسـتقبلوه عنـد جبـل طـارق، لكنـه انقطـع عـن التكسـب بالشـعر واكتفـى بعملـه ومهنتـه، ينظـر ابـن سـعيد (ت٦٨٥هـ): المغـرب فـي حلـي المغـرب، تحقيـق د. شـوقي ضـيف، دار الشـروق، القـاهرة، ط٢، ١٩٥٣م، ٢/٢٩٧-٢٩٨.

(٢) الرصـافي: ديوانـه، جمعـة وقـدم لـه، د. إحسـان عبـاس، دار الشـروق، القـاهرة، ط٢، ١٩٨٣م، ص٦٨-٦٩.

محل أغر العهد لم نبد ذكره على كبد إلا امترى أدمعا حمرا
أكل مكان كان في الأرض مسقطا لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطرا
ولا مثل مدحو من المسك تربة تملي الصبا فيها حقيبتها عطرا

فهذه الأبيات تؤكد لنا أن الرصافي قد نزح عن بلدته "بلنسية"، وهو صغير غلا أن صورتها ظلت تداعب جفونه، وتعلق بذاكرته وخياله، ومن ثم دفعته إلى الإفصاح عن تلك المشاعر في نسق رائق، أعلن فيه عن ولوعه ببلدته ومدى تلهفه وحنينه الدائم إليها، ذلك الحنين الذي أنتج دموعاً محترقة، وكباً تتفرى.

من خلال النماذج المقدمة تبين أن النفس الإنسانية جبلت على حب الوطن، والتعلق به مهما كان شأنه، والناس في حب الأوطان، والتعلق بها متساوون؛ فكل واحد محب لوطنه مهما علا شأنه أو صغر، وفي هذا الصدد نرى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يقول: "فهؤلاء الملوك الجبابرة ملوك الفرس الذين لم يفتقدوا في اغترابهم نعمة، ولا غادروا في أسفارهم شهوة، حنوا على أوطانهم، ولم يؤثروا على تربهم ومساقط رءوسهم شيئاً من الأقاليم المستفادة بالتعازي والمدن المغتصبة من ملوك الأمم، وهؤلاء الأعراب مع فاقتهم، وشدة فقرهم يحنون على أوطانهم، ويقنعون بتربهم ومحالهم"(١).

عوامل الاغتراب النفسي وأسبابه:

بدءاً يمكن القول إن الفرق بين الغربة المكانية والاغتراب النفسي، أن الغربة فراق للأهل والنزوح عن الوطن والبعد عنه، وغالباً ما تكون هذه الغربة مصحوبة بمشاعر نفسية مختلفة كالحنين أو الخوف أو القلق، أما الاغتراب فهو أن يعيش الإنسان في موطنه، وبين أهله، ولكنه يشعر بأنه غريب عن كل هؤلاء، ولأبي حيان

(١) الجاحظ: رسائل الجاحظ: "رسالة في الحنين إلى الأوطان"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة، ط١٩٦٥م، ج٢/٤٠٩.

التوحيدي (ت٤١٤هـ) قوله في وصف الغربة النفسية التي أحس بها، وهو في عصره وبين أهله حيث قال "هذا وصف غريب نأى عن وطن بني بالماء والطين وبعد أن ألاف له عهدهم الخشونة واللين... فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه، وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان؟.... بل الغريب من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب.... الغريب من نطق وصفه بالمحنة.... إن حضر كان غائباً وإن غاب كان حاضراً[١].

تعريف الاغتراب :

يفهم مما سبق أن الاغتراب هو حالة نفسية "تصور مدى انعدام السلطة والانخلاع، والانفصال عن الذات... والأشياء أو التذمر والعداء والعزلة، وانعدام المغزى في واقع الحياة والإحباط"[٢] وما نفهمه من هذه المفاهيم أن الاغتراب حالة شعورية قابعة داخل نفس شجية، كما أنه حالة مغيبة مخفية يلجأ إليها الشاعر حين يريد أن يبوح لنا عن تدهور أدبه، وفقده لإبداعه لسبب ما؛ فيزول كيانه ويتلاشى بعد أن كان مثالاً يحتذى، وأنموذجاً يضرب[٣].

(١) أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ودار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص٧٩.

(٢) قيس النوري: الاغتراب – اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً – بحث بمجلة عالم الفكر، الكويت، مج ١٠، ع١، ١٩٧٩م، ص١٣.

(٣) ينظر السابق نفسه، ص١٥ بتصرف يسير.

١- شكوى البعد والفراق:

أ- شكوى الفراق عامة:

لقد عانى كثير من الشعراء من الفراق، وعرفوا قسوته على أفئدتهم، وفاضت قرائحهم بشكواه، وتحدثوا عن اضطرارهم إلى ذلك، وذكروا أثر الفراق على الأحبة، مما اضطروا إلى اللوذ بالصبر والتجلد ورياضة النفس على الفراق، وربما أعانهم على ذلك الأمل الذي يحدوهم في لقاء أحبتهم، فهذا الحصري الضرير(*) (ت ٤٨٨هـ) يرى أن الغربة والفراق سجن وأسر لا نهائي، فهو ما إن يجن عليه الليل حتى تهيج عليه الأحزان، ويتجدد وجده(١): (البسيط)

ما إن سجا الليل إلا زادني شجنا فاتعبت زفراتي فيه أناتي

وهذا هو حاضر الغربة، شوق وحنين ودموع ونداء وتمن، ومع هذا الواقع المرير والبيئة المضطربة التي عاشها الجزار السرقسطي(**) (ت ٥١٥ تقريباً هـ)، فإننا نرى شعره انطوى على الكثير من البكاء والمآسي، فكثير من قصائده قد اتسمت بالشكوى الصادقة، وازدانت بمعاني الشوق الصادق الذي يعبر عن وفاته لأهله وخلانه وتشوقه

(*) هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري المكفوف القيرواني، دخل الأندلس عند الخمسين وأربعمائة، واتصل بالعديد من ملوك الطوائف في دانية وبلنسية وإشبيلية، رحل إلى طنجة بعد سقوط دولة المعتمدة وتوفي عام ٤٨٨هـ. ينظر ابن بسام (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤/ج١/٢٧٥

(١) ابن بسام (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤/ م٣/ ٢٧٧.

(**) هو أبو بكر يحيى بن محمد بن الجزار السرقسطي، عاش في زمن الحاجب بن هود، وارتبط بوزيره أبو الفضل بن حسداي، وتوجه إليه بالمدائح، وكانت بينه وبين ابن البرجي مهاجاة، وألف كتابة بادرة العصر وفائدة المصر للرد عليه، ولم تذكر المصادر عن حياته إلا النزر القليل، منها امتهانه بالجزارة، ينظر ابن بسام: الذخيرة، ق٣/م٣/٥. وصفوان بن إدريس (ت٥٩٨هـ): زاد المسافر وغرة محيا الأدب المسافر، أعده وعلق عليه عبد القادر محداد، دار الرائد العربي، بيروت، ط١٩٧٠، ص١٤٠، وابن سعيد (ت٦٨٥هـ): المغرب في حلي المغرب ج٢/٢٤٤.

لهمن ويتمنى لو يعود الشمل في ظل ربوع وطنه، وبين أحضان طبيعته[١]: (الطويل)

عسى وطن أودي بألفتنا شحطا يقربنا زلفى وينظمنا سمطا
لأسرع ما أمضى التفرق سهمه فأصمى فؤاد القرب منا وما أخطا
ووصلكم كانت من الدهر منحة فما باله اليوم استرد الذي أعطى
ألا ليت شعري هل يرى بعد سامحا بعهد تصاب كنت في عقده وسطى؟

فهذه مشاعر عفوية صادقة صدرت من الشاعر تجاه أصدقائه، أما عن وطنه فما شانه منكر، وما سمع به لغطا، ولو حله امرؤ القيس المشهور ببكائه على الأطلال لما ذكر أطلاله وبكى عليها، فيقول[٢]: (الطويل)

وأربع عرف لم يشنها بمنكر ولم تسمع الآذان منها بها لغطا
لو أن امرأ القيس بن حجر يحلها لأقصر عن أن يذكر الجزع والسقطا

ب – مواقف التوديع :

لقد أظهر كثير من الشعراء أثر الفراق يوم الوداع، وصوروا حسرتهم على تولي أحبتهم، فهم إما أن يفارقوه أو يرحل هو عنهم دون توديع، ومعاينة الشاعر لموقف التوديع يعد من أشق الأمور على النفوس، وأشدها إيلاماً بالقلوب.

(١) الجزار السرقسطي: روضة المحاسن وعمدة المحاسن" وفصول من كتابه بادرة العصر وفائدة المصر، صنعة أبي عبد الله محمد بن عبد الله مطروح السرقسطي (ت٦٠٩)، تحقيق ودراسة د. منجد مصطفى بهجت، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨، ص١٦٦-١٦٧.
(٢) الجزار السرقسطي: ديوانه، ص١٦٧.

وقد أشار بعض الشعراء إلى اضطرارهم للتوديع، ووصفوا ما اعتمل في نفوسهم من مشاعر الألم، وصوروا الصراع الذي عصف بمشاعرهم جراء فراقهم لأحبتهم، نجد ذلك عند ابن اللبانة(*)(ت ٥٠٧هـ) الذي يجسد الفراق ويجعله كائناً مخيفاً يقف له بالمرصاد فيقول(١): (الكامل)

وقف الفراق أمام عيني غيهبا فقعدت لا أدري لنفسي مذهبا

يا موقداً بجوانحي نار الأسى رفقا فماء الدمع قد بلغ الزبى

ظهر الشاعر في هذا الشاهد بمظهر العاجز المحبط أمام قدر الفراق والوداع، وقد فسر ذلك بأنه لا يدري لنفسه مذهباً.

ولم ينس أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي(**) (ت ٥٢٩هـ) وهو في معرض وصفه لمشهد الوداع أن يش بما في ضميره من حزن عميق، وأسى شفيف، حيث يقول(٢): "الوافر"

وقفنا للنوى فهفت قلوب أضر بها الجوى وهمت شؤون

يناجي بعضنا باللحظ بعض فتعرب عن ضمائرنا العيون

(*) أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني، ويلقب بابن اللبانة؛ لأن أمه كانت تبيع اللبن، كان شاعراً يتصرف وقادراً لا يتكلف، مرصول المباني ممتزج الألفاظ والمعاني، وكان من امتداد الباع، والانفراد بالانطباع، كسيف الصقيل الفرد، لو كانت له مادة تفي ببيانه لكان أشعر أهل زمانه، تكسب بالشعر وكان وثيق الصلة بالعابدين وظل وفياً للمعتمد بن عباد حتى بعد نفيه، ينظر ابن دحية (ت ٦٣٣هـ): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ود. حامد عبد المجيد، ود. أحمد أحمد بدوي، مراجعة د. طه حسين المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١٩٥٤، ص١٦٩ – ١٧٤ وابن بسام (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٣، م٢/٦٦٦-٧٠٢.

(١) ابن اللبانة: شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، بغداد ط١٩٧٧، ص١٤.

(**) ولد بدانية عام ٤٦٠هـ، وعاش بإشبيلية عشرين سنة، وانتقل إلى المهدية، وسكن بها عشرين سنة واتصل بأميرها يحي بن تميم، ونزل مصر، وقضى بها عشرين سنة، ولقي خطوة عند تاج المالي وزير الأفضل ونكبت بنكبته، وحبسه ثلاث سنين، ثم عاد على المهدية، وتوفي عام ٥٢٩هـ. ينظر في ترجمته ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ): المقتضب من كتاب تحفة القادم، ص٥٦. والمقري (ت ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٢/٣٠٧.

(٢)أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي: ديوانه، تحقيق عبد الله محمد الهواني، دار الأوزاعي، بيروت، ط١٩٩٠، ص٤٥.

وقد سفرت عن الشهب الدياجي ومالت في ذرا الكثب الغصون
فلا والله ما حفظت عهود كما ضمنوا ولا قضيت ديون
أمر بداركم فأغض طرفي مخافة أن تظن بنا الظنون

بدأ النص بالفعل الماضي "وقفنا" وهو فعل يحمل في طياته إيحاءات التهيب والجلال، فلقد وقف شاعرنا يهفو قلبه وراء المغادرين حتى غطت صورهم الحجب، ثم بعد ذلك أحس إزاء هذا الفراق بالظلم والقهر وضياع الحقوق، وأقسم على ذلك، ثم تحول هذا الحق إلى رغبة محاصرة بالخوف، فقال "أمر بداركم فأغض طرفي مخافة أن تظن بنا الظنون" فهو لم يبق له سوى أن ينظر إلى الديار، نظرة تملؤها الحسرة، ولكنه في الوقت ذاته لا يملك حتى النظر، خوفاً من الظنون.

ولعل من أشد ما ابتلى به الشعراء من ألوان التوديع توديع أحبتهم وداعاً أبدياً؛ لأن ذلك الفراق وهذا التوديع ليس له رجوع، ولا أمل في ذلك، فهذا ابن حمديس (ت ٥٢٧هـ) الذي عمقت الغربة جراحة، لم يجد بدا في رثاء أبيه إلا البكاء، والتعلل بالغربة، والتسلي بلحظات الوداع، فلنتأمل قوله ونستشعر آهاته[١]:

وما أنس لا أنس يوم الفراق وأسرار أعيننا فاشية
ومرت لتوديعنا ساعة بلؤلؤ أدمعنا حالية
ولي بالوقوف على جمرها وإنضاجه قدم حافية
ورحت إلى غربة مرة وراح إلى غربة ساجية

وفي معرض حديثنا عن مواقف التوديع نورد أبياتاً لابن سهل الإسرائيلي[**] (ت ٦٤٩ أو ٦٥٩هـ) التي يصف فيها لوعة الفراق

(١) ابن حمديس: ديوانه، ص٥٢٣.

(**) أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الأندلسي، ولد ٦٠٩ بإشبلية، ولم يغادرها حتى عام ٦٤١هـ ولقب بالإسرائيلي، لأنه كان يهودياً فأسلم، عندما تقطعت به سبل العيش اتجه إلى مدح الأعيان والأمراء، فرحل إلى جزيرة ميورقة، ثم اتجه إلى سبتة، ومات غريقاً وقد تضاربت الآراء حول تاريخ وفاته فقيل عام ٦٤٦هـ، ٦٤٩، ٦٥٩هـ. ينظر ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج٢٩٦/١ والمقري: نفح الطيب، ج٢٠٠/٤.

وشدة حنينه إلى أحبته، متذكراً لحظات الوداع التي ألهبت فؤاده وشاكياً سوء حاله بعد فراقهم، فنراه يقول[١]: "المنسرح"

أنا الذي رام من أحبته حظاً بلقياهم فما رزقا
حسبت يوم الوداع أن معي قلبي ولم أدر أنه سرقا
قد أظلمت عيشتي ولست أدري إلا بكم مشرقاً لها أفقا

وشبيه بقول ابن سهل، قول حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) عندما هزه موقف الوداع[٢]: "الكامل"

كم حملوا يوم الوداع حمولهم من جؤذر أحوى وظبي أدعج
من كل دامي الطرف ليس إذا رمى كفيه في قتراته بالمتلج
كم لوعة عالجت حين تحملوا بالناعجات لعالج ولمنعج
كم بت بعدهم بليل لم يلح من بعده صبح ولم يتبلج

وقد يعتري النفس الإنسانية طموح وأمل في أن ينقضي يوم الفراق؛ ليعود الشمل ويجتمع الأحباب، وهذا ما رجاه ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ)، وتمنى أن يتبدد ليل الفراق بالصبح المنير، وأن يزول الظلام بعودته إلى الوطن، حيث يقول[٣]: (الخفيف)

أيها الليل لا تؤمل خلوداً عن قريب يمحو ظلامك ماح
ويلوح الصباح مشرق نور فيه للمستهام بدء نجاح
إن يوم الفراق بدد شملي طائراً ليته بغير جناح

لعله قد اتضح لنا من خلال عرض النماذج السابقة والتي ركزت على عنصري الرحيل والوداع، أن الشاعر الأندلسي قد سخر كل إمكاناته التعبيرية في وصف تلك الصدمة العنيفة التي لاقاها إزاء من

(١) ابن سهل: ديوانه، تحقيق وتقديم د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١٩٨٠، ص٢٥٣.
(٢) حازم القرطاجني: ديوانه، تحقيق عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت، ط١٩٦٤، ص٣٢.
(٣) ابن سعيد: شعره، ص١٤٣.

يحب، تلك الصدمة التي أفرزت شعراً يمتلئ بالمرارة، ويتسم بالصدق وعمق التأثير في المتلقى، وتعبر عن بؤس الشاعر وقلقه واغترابه.

٢- الضيق بالغربة في وطن المهجر:

ماهية وطن المهجر :

بدءاً يمكن القول إن وطن المهجر، هو ذلك الوطن الذي هاجر إليه الشاعر الأندلسي، بعد تركه لوطنه الأم، واتكالاً على هذه المقولة فإن الأبيات والمقطعات التي سنوردها نأمل فيها بياناً واضحاً للهموم التي اعترضت الشعراء أثناء إقامتهم في مهجرهم.

ظروف هجر الإنسان لوطنه :

ما أكثر الظروف التي تجبر الإنسان على مغادرة وطنه وهجره، وربما تكمن الصعوبات الحقيقية، وتظهر العقبات الخفية عندما لا يجد المرء مكاناً يحل فيه، فتزيده آلاماً فوق آلامه، وإذا كان الشاعر ابن المجتمع، بالرغم مما فيه من عوامل النقص، فإنه ابن متمرد؛ لأنه كثير الاصطدام بالواقع.

إن ابن اللبانة (ت ٥٠٧هـ) الذي عانى الغربة كثيراً في أشعاره(*) نقف معه؛ ليصور لنا مدى غربة وطن المهجر، فعن الغربة وشكواها التي ألحت عليه، وتركته في هم وسهر طويل، يقول متعجباً من حاله في عدم استقراره(١): "البسيط"

كأنما الأرض عني غير راضية فليس لي وطن فيها ولا وطر

وإذا ما تركنا الشاعر الأندلسي الجزار السرقسطي (٥١٥هـ) يحدثنا عن سلبيات الوطن الذي عاش فيه، كان الحديث مترعاً برفض كبير وعداء دائم، فهو إذا جن عليه الليل في حصن (بيتول)(**)، نراه

(*) ينظر ابن اللبانة: شعره، مقدمة المحقق ص٥ وما بعدها.

(١) السابق نفسه، ص٥٠.

(**) ذكر في مقدمة القصيدة أنها من أعمال سرقسطة، ينظر ديوانه، ص١٧٨.

يتألم طوال الليل، وما غمض له جفن، فراح يشكو ذلك الموطن، مصرحاً بكرهه له، وذمه ورفضه في أبيات لا تخلو من تفكه وظرف، فيقول(١): "الطويل"

لحا الله بيتول الدنية إنها بها يستزيد الحزن والفرح ينقص
لقد بت فيها ليلة، أي ليلة وبرغوثها حولي من الفرح يرقص
كأن فراشي تحت جنبي طاجن وزريعة الكتان فيه تحمص

وهذا ابن سارة الشنتريني (ت ٥١٧هـ) يضيق ذرعاً بجبل شلير(***) لشدة برودته، فتمنى لو فكر منه إلى حر الجحيم المعروف وجعله مسكناً له؛ إذ هو أرض من يرد هذا الجبل وأرحم من قساوته، يقول(٢): "الطويل"

أحل لنا ترك الصلاة بأرضكم وشرب الحميا وهي شئ محرم
قراراً إلى نار الجحيم فإنها أرق علينا من شلير وأرحم
إذا هبت الريح الشمال بأرضكم فطوبى لعبد في لظى يتنعم

إن ابن سارة قد عانى برد هذا الجبل، فأراد أن ينقل وصفه لمن لم يسمع بهذا الجبل أو سيحل به قريباً، وهنا نراه يلبس ثياب الفتوى، ويبيح شرب الخمر لأهل مدينة البيرة القاطنين عند هذا الجبل، وما ذلك إلا لتخفيف ما يعانونه من برد جراء مجاورتهم لذلك الجبل.

إن أصالة شعر الأعمى تكمن في معرفته أسرار النفس الإنسانية، فهو يلج عليها من باب الشكوى، ويجعلنا نبكي معه

(١) الجزار السرقسطي: ديوانه، ص١٧٨.

(***) جبل شيلر: هو جبل الثلج المشهور بالأندلس، وهو جبل البيرة وهو متصل بالبحر المتوسط، ويذكر ساكنوه أنهم لا يزالون يرون الثلج نازلاً فيه شتاء وصيفا، وهذا الجبل يرى من أكثر بلاد الأندلس ويرى من عدوة البحر ببلاد البربر، ينظر الحميري (ت ٨٦٦) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٣٤٣.

(٢) د. مصطفى عوض الكريم: ابن صارة الشنتريني حياته وشعره، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٥٨، ص٨٦.

ونشاركه أحاسيسه. وكان مما يزيد في تأجج تجربة الضياع، ويحز في نفسه، هو سوء معاملة أهل زمانه، وأهل مدينته؛ فيضجر من الإقامة بها وبأهلها، ويعزم الرحيل، حيث تشتد وطأة معاناته، فيمل المدينة وتمله، فيقول(١): "البسيط"

مللت حمص وملتني فلو نطقت كما نطقت تلاحينا على قدر
وسولت لي نفسي أن أفارقها والماء في المزن أصفى منه في الغدر
هيهات بل ربما كان الرحيل غدا كالمال أحيى به فقرا من العمر

إنه يخلق عالماً خاصاً به فيبنى مطالبه على الحرمان والشعور بالضياع والمهانة، ولكن تبقى فكرة الرحيل مجرد وهم وحل مؤقت.

وإذا بعدنا قليلاً ربما نقف في شعر ابن حمديس الصقلي (ت ٥٢٧هـ) على صورة أكثر روعة وحركة وتمثيلاً للواقع الأليم الذي عاشه، فهو لم يستطع أن يتكيف مع المجتمع الذي هاجر إليه، فأقام فيه كارهاً له ساخطاً عليه، يطوي أحشاءه على الألم، ويعاتب الخطوب الجائرة التي أخرجته من الجنة، وألقت به في بلاد قاسية اتسمت بمرعاها الوخيم، وعرفت بحياتها الجافة ومياهها الآسنة، وقد عبر عن معاناته هذه في قوله(٢): "الكامل"

طال التغرب في بلاد خصصت بوخامة المرعى وطرق المشرب
فطويت أحشائي على الألم الذي لم يشفه إلا وجود المذهب
إن الخطوب طرقتني في جنة أخرجنني منها خروج المذنب

بواعث الاغتراب النفسي وأسبابه:

حدة الإحساس بالذات:

لقد ابتلى كثير من الشعراء بعلو الهمة وأحسوا بأنهم أولى الناس بالتقدير والاحترام، وأولى بشعرهم أن يسمو بهم إلى الدرجات العليا،

(١) السابق نفسه، ص٤٩.
(٢) ابن حمديس: ديوانه، ص٣٨.

ولكنه سقط بهم في مدارك الفاقة، ومع قصور تحقيق آمالهم في الحياة، ازداد شعورهم بالاغتراب، فهذا الأعمى التطيلي (ت٥٢٥هـ) نراه يفتخر بنفسه وبعزتها وأنفتها، على الرغم مما أصابها من خطوب أليمة، حيث يقول(١):

بي كلما ناب خطب أو نأى نفس عزوف وأنف كله أنف

وهمة كلما أفضت إلى شرف طالت فعن لها من همها

وهذا الحكيم الداني (ت ٥٢٩هـ) ما إن اعتقل في مصر حتى راح يعلل سر حبسه ويفخر بنفسه ويسمها بأنها محسودة، لم تأخذ مكانتها الحقيقية، ولم تنل منزلتها التي يجب أن تنال، ثم أغدق على شخصيته صفات العلو والرفعة، فنراه يقول(٢):

يا رب ذي حسد قد زدته كمداً إذ رام ينقص من قدري فما نقصا

فإن رخصت ولم أنفق فلا عجب للفضل في زمن النقصان إن رخصا

وإن حبست فخير الطير محتبس متى رأيت حداء أودع القفصا

وهذا الأصم المرواني(*) (من أهل المئة السادسة) نراه يعبر عن ذات الاغتراب من الفاقة والحرمان، فهو ما إن ينزل في مكان موحش لا يليق بشرفه ومكانته، حتى تجئ صاحبته تعاتبه على نزوله في مثل هذا المكان القفر وتتمنى لو يغادره، ولكنه لم يجب هذا التمني؛ ويعلل ذلك بأن هذا المنزل لا يقدح في منصبه، ودليله في ذلك أن الشمس المضيئة العالية لابد أن تغيب في مكان سحيق، يشي بذلك قوله(٣): "مخلع البسيط"

(١) الأعمى التطبلي: ديوانه، ص٨٤.

(٢) أمية بن أبي الصلت: ديوانه، ص١٤٩-١٥٠.

(*) أحد الشعراء الذين أنشدوا عبد المؤمن حين جاز إلى الأندلس. ينظر في ترجمته: رايات المبرزين، ص٦٨.

(٣) صفوان ابن إدريس (ت ٥٩٨هـ): زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ص١٢٦.

يـــا هـــذه لا تفنـــديني إن صـــرت فـــي منـــزل هجـــين
فلـــيس قـــبح المحـــل ممـــا يقـــدح فـــي منصـــبي ودينـــي
فالشـــمس علويـــة ولكـــن تغـــرب فـــي حمـــأة وطـــين

زهو الأندلسي بنفسه :

ولا غـرو أن تظـل الـذات الأندلسـية المغتربـة تزهـو بنفسـها، وربمـا يعـد ذلـك نتيجـة لمـا ألـم بهـا مـن حيـف وكـرب، وفـي ديـوان ابـن بقـي (٥٤٠هـ) نشـعر بعوامـل الاغتـراب فـي بعـض أشـعاره، فنـراه يفتخـر بهمته، فيقول[١]: "الوافر"

ولـي همـم سـتقذف بـي بـلاداً نـأت إمـا العـراق أو الشـاما

ويقول في أخرى [٢]: "الطويل"

سـلكت أسـاليب البـديع فأصـبحت بـأقوالي الركبـان فـي البيـد ترتمـي
وربمـا غنـى بـه كـل سـاجع يـردده فـي شـجوه والتـرنم
وضـيعني قـومي لأنـي لسـانهم إذا أفحـم الأقـوام عنـد الـتكلم
وطـالبني دهـري لأنـي زنتـه وأنـي فيـه غـرة فـوق أدهـم

فالشـاعر ظهـر فـي هـذا الـنص بصـورة القـوي الـذي يقهـر الـدهر ولا يهـاب شـيئاً بعـد أن ضـيعه قومـه، وأضـاعوا مكانتـه؛ فالـدهر هنـا يحـاول فقط، أن يطلب الشاعر؛ لأنه قد زانه، وكان صفحة بيضاء في سوداه.

وقـد يعلـو صـوت القـوة عنـد الشـاعر فينتقـل إلـى درجـة أعلـى مـن التحـدي للـدهر، ألا وهـي التعـالي، فيقـول محمـد بـن سـهل الأزدي فـي نص شديد التعالي موغل في غروره[٣]: "الطويل"

وإنـي مـن حزمـي وعزمـي وهمتـي ومـا رزقتـه الـنفس مـن كـرم الطبـع

(١) ابن بقي: ديوان، ص٨٨.
(٢) السابق نفسه، ص٩٦.
(٣) لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤/٢٨٥.

لفي منصب تعلو السماء سماته فيثبت نوراً في كواكبها السبع
علا صرف دهري إذ علا فإذا به ترابٌ لنعلي أو غبار على سبع

فالشاعر قد بلغ من شدة حزمه وعزمه وهمته منتهاه، حتى إن الدهر مهما علا لن يجاوز قدره قدر تراب نعله. ويقول عبد الحق ابن غالب في نص شبيه بهذا النص، يصف فيه قوته وأن الليالي لا تستطيع أن تنازله أو تكسر شوكته – رغم افتقاده للسلاح المادي–؛ لأنه يواجهها بسلاح أقوى وأشد من وقع السيوف، ألا وهو سلاح الأخلاق[1]: "البسيط"

أبعد أن نعمت نفسي وأصبح في ليل الشباب لصبح الشيب إسفار
وقارعتني الليالي فانثنت كسرا عن ضيغم ما له ناب وأظفار
إلا سلاح خلال أخلصت فلها في منهل المجد إيراد وإصدار
أصبو إلى روض عيش روضه خضل أو ينثني بي عن العلياء إقصار
إذاً فعطلت كفي من شبا قلم آثاره في رياض العلم أزهار

فالأبيات تصور حالة نفسية متأزمة رأت في الفخر متنفسها، فالشاعر في البيت الأول دفع عن نفسه صفة الكسل والقصور في طلب المجد؛ إذ ليس لمثله أن يركن إلى الدعة بعد أن شاب شعر رأسه من كثرة خبرته في الحياة، وجهاده في سبيل طلب المعالي، ثم بعد ذلك أكد أن نوائب الدهر لم تستطع أن تواجهه وتناثرت قطعاً متكسرة بعد أن قارعته؛ لأنها لمست فيه صفات أمضى من السيوف.

وفي النصوص السابقة التي استشهدنا بها لموضوع فساد الأصدقاء والأقارب، استشعرنا مدى وحشة الاغتراب والوحدة التي عايشها الشعراء، وهم يضربون في الأرض سعياً وراء تحقيق الآمال، ليس لهم نصير ولا معين.

(١) المقري (ت ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٢/٥٢٧.

مظاهر الاغتراب النفسي وآثاره:

لقد عاش الشعراء غربة نفسية قاسية؛ نظراً لما أصيبوا به من خيبة للآمال العريضة التي لم تتحقق، وغدر الأصدقاء والأقارب، ونكرانهم للقيم، وما حل بهم من فاقة وعوز، وما شعروا به من غبن، كل ذلك نمى، شعور الاغتراب في نفوسهم، وقد أفضى ذلك ببعض الشعراء إلى الحيرة وسيطرة مشاعر اليأس والهموم، ولاذ بعض الشعراء إلى شكوى الدهر ومحاولة قهر الاغتراب، ولجأ بعض الشعراء إلى الزهد في متاع الدنيا والعودة إلى الله تعالى واللجوء إليه.

وتجلت غربة الشعراء النفسية وآثارها في عدة مظاهر:

الزهد:

إذا كان مرد كل شئ في الدنيا إلى فناء فهل من طريق إلى النجاة سوى مرضاة الله والزهد بالدنيا وطلب الآخرة؟ فها هو أبو الحسن بن هارون المالقي في نص من نصوص الزهد؛ إذ يبدؤه بقوله[١]: "الوافر"

أراك يغرك الأمل ... ويقطع دونه الأجل

وحالك في تنقله ... كمثل الفئ ينتقل

فالشاعر مهد لنصه بفساد طول الأمل، ثم انتقل ليعدد أشكالاً مختلفة لتنقل المرء من حال إلى أخرى، ثم يعود إلى الدعوة بالاعتبار بفعل الدهر، والانصراف عن ملذات الدنيا والسعي إلى الاجتهاد في العبادة للفوز بنعيم الآخرة، فيقول[٢]:

وفي الأيام معتبر ... لها في أهلها دول

فقوم قد علوا فيها ... وأقوام بها سفلوا

وكم صرعت محبيها ... ولا بيض ولا اسل

(١) العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ): خريدة القصر وجريدة العصر، ج٣/٥٧٣.
(٢) السابق نفسه: ج٣/٥٧٤.

وكـــم بـــاتوا علـــى فـــرش عليهـــا تضـــرب الكلـــل
أبـــاد الـــدهر جمعهـــم وجـــوزوا بالـــذي عملـــوا

ومـن الشـعراء مـن صـرف نفسـه عـن غيهـا فتـذكر المـوت والبلـى، وواجـه نفسـه بالمحاسـبة، وفـي ذلـك يقـول أبـو محمـد القاسـم بـن فـتح بـن الريـولي الحافظ الحجازي(١):

إلـــى كـــم تقـــول ولا تفعـــل وتغفـــل والمـــوت لا يغفـــل
أأملـــت خلـــداً فهيهـــات أن يـــرى المـــرء يـــدرك مـــا يأمـــل
أم الـــدهر غـــرك إمهالـــه ولـــو قـــد تحققـــت لا يمهـــل

وقـد تجلـى روح الزهـد فـي نفـس أبـى العـرب الصـقلي(*) (ت ٥٠٦هـ)، عنـدما تقـدم بـه العمـر، وودع حيـاة اللهـو، حيـث يقـول(٢): "الطويل"

عزفـت فودعـت الصـبا والغونيـا وقلـت لـداعي الحلـم لبيـك داعيـا
فمـا يزدهينـي دل كـل غريـرة إذا خطـرت تهـدي الحلـيم التصـابيا
ولكـن قصـرت العـين عـن كـل منظـر فمـا أرسـلت لحظـا علـى القلـب حانيـا

ولا يمكننـا فـي مقـام الحـديث عـن الزهـد باعتبارهـا وسـيلة للتغلـب علـى أزمـة الاغتـراب أن نتجـاوز شـاعراً عـاش حيـاة اغتـراب نفسـي وروحـي لا تطـاق، فاسـتعان بالزهـد؛ لقهـر اغترابـه وللتخفيـف ممـا يعانيـه مـن آلام وأحـزان. ذلـك هـو الأعمـى التطيلـي (ت٥٢٥هـ)، الـذي أشـار إلـى

(١) السلفي (ت ٥٧٦هـ): أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر، ٥٣-٥٤.

(*) وهـو مصـعب بـن محمـد بـن أبـي الفـرات القرشـي، ولـد فـي مدينـة بلـرم عاصـمة صـقلية عـام ٤٢٣هـ ولـم يسـتطع البقـاء فـي صـقلية بعـد أن تغلـب الـروم عليهـا، فشـد الرحـال إلـى إشـبيلية عاصـمة المعتمـد بـن عبـاد، وقـد ظلـل فـي بلاطـه إلـى أن أسـر ونفـى إلـى أغمـات، فتـرك إشـبيلية وسـار إلـى ناصـر الدولـة صـاحب ميورقـة، ينظـر ترجمتـه فـي: العمـاد الأصـفهاني: جريـدة القصـر وجريـدة العصـر، قسـم شـعراء المغـرب والأنـدلس ج٢/٢٢٢، والسـفلي: أخبـار وتـراجم أندلسـية مسـتخرجة مـن معجم السفر، ص٥٥.

(٢) د. فـوزي عيسـى: ديـوان الشـعر الصـقلي، جمـع وتحقيـق ودراسـة، دار الوفـاء للطباعـة الإسـكندرية، ط١، ٢٠٠٧، ص٤٩.

أن الدنيا فانية وكل ما عليها إلى زوال، وأن حظ المرء من عمره ليس إلا خطا تحصى وأنفاساً تعد وأن الموت قد جمع بين الشيخ والفتى، وأن الورد والآس إلى زوال، وقد وردت هذه المعاني في قوله(١):

الدهر إيجاش وإيناس والناس – ما لم تبلهم – ناس
وكل ما في قلب المرء مستأنف لا طمع فيه ولا بأس
وليس حظ المرء من عمره إلا خطا تحصى وأنفاس
جرى الفتى والشيخ في حلبة (م) الموتى وولى الورد والآس

ويؤكد في شاهد آخر على حتمية الموت، ويتعجب من اندفاع الناس إلى حياة مرهونة بالفناء في قوله(٢): "البسيط"

تنافس الناس في الدنيا وقد علموا أن سوف تقتلهم لذاتهم بددا
تبادروها وقد آدتهم فشلاً وكاثروها وقد أحصتهم عددا

فذكر الموت يعد زهداً من الشاعر، وليس حرصاً على الحياة، وزهده هذا ليس فيه رهبانية وإنما هو معرفة عميقة بالحياة وبالموت من خلال الحياة؛ لذا تبدو روح الشاعر مشدودة بين قطبي الحياة والموت تنبض بالحياة، وتستجيب لحكمة الموت، ولعل التطيلي يدرك لوعة حياته هذه فهو يعرب عن استعداده لاستقبال منيته، بقوله(٣): "البسيط"

من كان يفظع طعم الموت في فمه فإنه في فمي أحلى من الشهد

ومن الشعراء الذين نقف في شعرهم على معاني الزهد، وترك الدنيا وملاذها، الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي (ت ٦٠٤هـ)، فهو يرى في قبور الموتى وآثارهم واعظاً مهما لحياته

(١) الأعمى التطيلي: ديوانه، ص٧٦.
(٢) السابق نفسه: ديوانه، ص٢٧
(٣) د. محمد مجيد السعيد: استدراكات على ديوان الأعمى التطيلي بحث بمجلة المورد، العراق، العدد ٢ المجلد٦، ١٩٧٧م، ص٣٠٢.

المتنعمة المترفة، ويرى أيضاً أن الحياة الدنيا زائلة فانية، مهما طال نعيمها أو دام ترفها، فيتجلى روح الزهد في قوله(١): "البسيط"

يا نفس حسبك ما فرطت فاذدجري ... عن الذنوب فإن القبر مثواك
خافى الإله لما قدمت من زلل ... واعصى هواك فإن الله يرعاك
إن الهوى قلما تجدي هوادته ... وهو الذي عن سبيل الرشد أقصاك
لشد ما تعلمين الفرق بينهما ... ما كان أحراك بالأجدى وأولاك
إلا تلهين عن قولي مغالطة ... وتوقنين بأني غير أفاك؟!
أصغى إلى فما في الأرض من أحد ... ألقى إليه صريح النصح إلاك
تسوبى إلى الله إن الله يقبلها ... واسعى بجهدك في تحسين عقباك

هذا وقد أسهب الشعراء الزهاد في الحض على التمسك بالصالح من الأعمال، والصبر والقناعة والرضا، والتوكل على الله، وغيرها من القيم النبيلة التي وجدوا فيها راحة لهم ولنفوسهم التي أضناها الاغتراب.

الانفراد والعزلة:

كان الانفراد والعزلة ملاذاً آخر للباحثين عن الراحة النفسية والاطمئنان، وللفارين من قلق الاغتراب وآلامه، فكما نشد كثير من الشعراء راحتهم في الزهد فقد نشدوها أيضاً في العزلة والانفراد؛ ففي العزلة عن الناس اتقاءً لشرهم، وضمان للنفس مما قد يصيبها من عدوى الفساد التي يسببها الاختلاط. فقد يضطر المرء إلى مخالطة من لا يحبه، ومصادقة من لا يألفه وحينئذ يفقد أنسه بالحياة؛ فحياة المرء بين من لا يوافقونه تعد غربة ومشقة اضطر معهما كثير من الشعراء إلى إيثار العزلة.

لقد آثر كثير من الشعراء العزلة والانفراد عن الناس وشفعوا هذا السلوك بأسبابه، عندما عجزوا عن مواجهة شرورهم، وسيطر اليأس

(١) د. عباس الجراري: الأمير الشاعر أو الربيع سليمان الموحدي: عصره وحياته وشعره، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١٩٧٤م، ص١٥٣.

على نفوسهم من صلاحهم، يقول أبو بكر غالب بن عطية المحاربي (ت ٥١٨هـ)(*) في ذلك(١): "الطويل"

جفوت أناساً كنت آلف وصلهم وما في الجفا عند الضرورة من باس
بلوت فلم أحمد، وأصبحت آيسا ولا شئ أشفى للنفوس من اليأس
فلا تعذلوني في انقباضي فإنني رأيت جميع الشر في خلطا الناس

فابن عطية يتحاشى مصاحبة الناس؛ لأن القريب منهم لا يسلم من أذاهم، والوحدة عنده خير من المصاحبة؛ ومن ثم نراه في شاهد آخر يحذر من مخالطة الناس؛ لأنهم أقسى من الذئاب، واشد ضراوة منهم، فيقول(٢): "الرمل"

كن بذئب صائد مستأنساً وإذا أبصرت إنساناً ففر
إنما الإنسان بحر ما له ساحل فاحذره إياك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد ثم كن من ذلك الشخص حذر

لقد مل ابن عطية الناس، وتعب من عدوى الفساد التي سببها اختلاطه بهم؛ فآنس بالوحدة، وانتابه اليأس من صلاحهم، وقد تجلى ذلك من خلال عباراته (ففر – إياك الذغرر – حذر) التي تدل على مدى الشك الذي أخذ بمجامع قلبه بسبب فساد الناس وفقده كل رجاء أو أمل في أن تصفو الحياة، أو ينصلح حال العباد فيها؛ ومن ثم على المرء أن يأخذ حذره ويحتاط من تقلبات البشر.

ويدعو أبو الصلت الداني (ت ٥٢٩هـ) – الذي يقال إنه عاش عشرين سنة في الأندلس ومثلها في مصر، ومثلها في تونس – (*) إلى

(*) هو الفقيه الإمام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله. وهو غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية المحاربي، من الفقهاء الزهاد المحدثين، له رحلة إلى المشرق، واتصل بكثير من العلماء، وبرع في صياغة الشعر، وكانت وفاته سنة ٥٨١، ينظر الفتح بن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ج٦٣٩/٣.

(١) السابق نفسه، الموضع ذاته.

(٢) السابق نفسه، ج٦٣٨/٣.

(*) ينظر المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٣٠٨/٢، وديوانه: (مقدمة المحقق)، =

اعتزال الناس والتجافي عن الأصدقاء وحبس النفس عنهم؛ لأن جميعهم ما بين حاسد وحاقد، وهذه النظرة التشاؤمية التي أفقدته ثقته بالآخرين، نراها في قوله(١): "الطويل"

ولم يبق في الباقين حافظ خلة فعش واحداً ما عشت تنج وتسلم
فلست ترى إلا صديقاً لموسر حسوداً لمجدود عدوا لمعدم

ونظراً؛ لأن الحياة تقوم على المخالطة واشتباك المصالح، فإن الداني عندما عزم على العزلة وتجنب الناس، ذكر الأسباب الداعية إلى ذلك؛ ليبرر هذه العزلة، ومن الأسباب القوية التي ذكرها، فساد الناس واعتلال نفوسهم بالصفات الخبيثة، وتخرج مثل هذه النظرة البائسة اليائسة إلى حدود الدنيا بأجمعها، فيصفها بأنها ليست دار الحر، أو مبتغى لصفو عيش، يقول الداني في ذلك(٢):

متى صفت الدنيا لحر فأبتغي بها صفو عيشي أو خلوي من الحزن
وهل هي إلا دار كل ملمة أمض لأحشاء الكرام من الطعن
وإن هي لانت مرة لك فاخشها فإن أشد الطعن طعن القنا اللدن

سيطرة مشاعر اليأس والهموم:

لقد كان للشعراء همم عالية، ومطالب رفيعة، خاضوا غمار الحياة من أجلها، كما كانت لهم رغائب وآمال وطموحات، جاهدوا في سبيلها، فخانهم الحظ ولم تطاوعهم الظروف في تحقيق أهدافهم ومطامحهم، وكأن الدهر يقف لهم بالمرصاد، يعترض طريقهم في الوصول إلى مبتغاهم، فقد عانوا من ذلك الكثير، فشعروا حينئذ بالاغتراب عن المجتمع، أو بمعنى آخر بأنهم غرباء في ذلك الزمن

=
ص٦-٩.
(١) أمية بن الصلت: ديوانه، ص٥٨-٥٩.
(٢) السابق، نفسه، ص٤٨

وقد صاحب ذلك الشعور إحساس بالحسرة، والتشاؤم واليأس ووقعوا فريسة للهموم والأحزان والحرقة والألم، وحين نقرأ دواوين شعراء عصري المرابطين والموحدين، تهولنا كثرة الأشعار الشاكية الباكية، التي يشكو فيها الشعراء، سوء حالهم، ويندبون حظهم العاثر، ولنعرف ما كان يقاسيه أمثال هؤلاء، نستمع إلى قول عبد الجليل بن وهبون (ت ٤٨٤هـ)[١]: "الوافر"

تزاحمت الهموم خلال صدري ... فما تركت لأنفاسي مجالا
وأعتبني الزمان فصرت أردي ... بما أعيا سقاماً واعتلالا
وما خلت النسيم يكون ثقلاً ... ولا نفحاته تأتي وبالا

فنحن نستنشق من هذه الأبيات ما يعانيه من غربة في مجتمعه، ومن عذاب وصراع نفسي أليم. ومن هذا المنطلق، وهو الإحساس بالإخفاق والضياع، وبجور الدهر عليه، نراه يذهب إلى ابعد من ذلك فيقول إن الدهر يبتليه بالمصائب والمحن كلما طلب معونته أو أراد أن يستمد منه الحياة، وكأن الدهر قد وجد ليعارضه، ويتضح لنا ذلك من خلال قوله[٢]: "الوافر"

كأني كلما استنشقت منه ... أرد به إلى كبدي نصالاً
وكيف يصح ذو قلب أبى ... إذا كان الإباء له نكالا

وقوله[٣]:

بيني وبين الليالي همة جلل ... لو نالها البدر لاستخذى له زحل
شراب كل يباب عندها شنب ... وهول كل ظلام عندها كحل
من أين ابخس، لا في ساعدي قصر ... عن المعالي ولا في مقولي خطل
ذنبي إلى الدهر فلتكره سجيته ... ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل

(١) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٢/ م١/ ص٥١١.
(٢) السابق نفسه: الموضع ذاته.
(٣) الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩هـ): قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ج٢/ ٧٧٠.

وهذا الشاعر ابن حمديس الصقلي (ت ٥٢٧هـ) أيضاً، يعلن غربته عن هذا العالم، فهو مثقل بهموم الغربة، التي اكتهلت وشاخت باكتهاله، بعد أن أعياه السعي في الآفاق[١]: "الرمل"

أنا من صاح به يوم النوى عن مغانيه غراب فاغترب
طفت في الآفاق حتى اكتهلت غربتي واحتنكت سن الأدب

وعندما رأى شجر النيلوفر، ذكره ببلاده، وأثارت لديه دوافع الشوق والحنين، وتمنى لو كانت رؤيته لها في بلده الذي اعتاد أن يراها فيه، وألف مكانها هناك وأحبه[٢]: "الطويل"

هو ابن بلادي كاغترابي اغترابه كلانا عن الأوطان أزعجه الدهر

وعندما جاءه خبر وفاة ابنته، نراه يرثيها بقصيدة طويلة مؤثرة، ومثقلة بهموم الغربة، ومحملة بأشجان النوى والبعد، ومشحونة بالحنين العارم إلى الماضي المرتبط بالأهل والأرض، ومن خلالها يرثى نفسه، حيث يقول[٣]: "الطويل"

أراني غريباً، قد بكيت غريبة كلانا مشوق للمواطن والأهل

لقد صدرت أشعار ابن حمديس، التي ابرزت مأساته عن نفس مترعة بالهموم، والسهر الطويل، فنراه يقول في شاهد آخر محرضاً أهل بلده على الجهاد، وحاثا إياهم على التمسك بموطنهم ويحذرهم من أن يجربوا غربة المكان[٤]: "الطويل"

فإن بلاد الناس ليست بلادكم ولا جارها والحلم كالجار والحلم
أعن أرضكم يغنيكم أرض غيركم وكم خالة جداء لم تغن عن أم
تقيد من القطر العزيز بموطن ومت عند ربع من ربوعك أو رسم

(١) ابن حمديس: ديوانه، ص٤٩.
(٢) السابق نفسه، ص١٨٥.
(٣) السابق نفسه، ص٣٦٦.
(٤) ابن حمديس: ديوانه، ص٤١٧.

وإيـــاك يومـــاً أن تجـــرب غربـــة فلـــن يســـتجيز العقـــل تجربـــة الســـم

وهكـذا فقـد جسـد الشـعر فـي عصـري المـرابطين والموحـدين، والاغتـراب النفسـي لـدى الشـعراء النـاجم عـن سـيطرة مشـاعر اليـأس والهموم، فوجدناه فيه نغمة التحسر، واللهفة، والشكوى.

شكوى الدهر:

ثمـة كثيـر مـن النصـوص تنحـى باللائمـة علـى الـدهر فـي كـل مـا يصـيبها مـن قهـر وظلـم، فقد خيـل لكثيـر مـن الشـعراء أن الـدهر يقـف لهـم بالمرصـاد، ويمكـر بهـم، ويخـادعهم، ويـنغص علـيهم صـفو عيشـهم، وكـل هـذا لا لعجـز فـي قـدراتهم، فربمـا عـاجز أقبلـت عليـه الحيـاة، ورب قـوي عاقـل أدبـرت عنـه؛ وبـذا أدرك الشـعراء أن الـدهر لا يـدوم علـى حالـه أبـداً؛ فعاشـوا مرتـابين فيـه، متوجسـين مـن صـروفه، فجـأروا بشـكواه، بعـد أن عرفوا أحواله وطباعه.

١- خبرة الشعراء بأحوال الدهر وطباعه:

تأهل الشعراء أحوال الدهر، وأشاروا إلى خبرتهم به ويقظتهم لأحداثه، وصروفه، فهو لا يكاد ينجو أحد من تأثيره، يقول ابن عبدون اليابري (ت ٥٢٩هـ) مؤكداً شمولية تأثير الدهر في كل إنسان، وعدداً أمثلة كثيرة لقبائل وملوك وملوك فتك بهم[١]: "البسيط"

سلني عن الدهر تسأل غير إمعة ... فألق سمعك واستجمع لإيرادي
نعم هو الدهر ما أبقت غوائله ... على جديس ولا طسم ولا عاد
ألقت عصاها بنادي مأرب ورمت ... بآل مامة من بيضاء سنداد
وأسلمت للمنايا آل مسلمة ... وعبدت للرزايا آل عباد
ما لليالي، أقال الله عثرتنا ... منها، تصرع أضداداً بأضداد!

فالشاعر خبير بالدهر عارف بطباعه من كثرة ما علم عن تأثيره في الأمم التي خلت من قبل. وجدير بالملاحظة في النص أن معظم الأفعال التي أسندت إلى الدهر دالة على الإذلال والقتل مثل قوله (ألفت – أسلمت – عبدت للرزايا – تصدع). كما أن الشاعر اختار كلمة "الليالي" في البيت الأخير؛ ليعبر بها عن الدهر وذلك لما يتوارد على النفوس فيها من الهموم، ويأتي بصيغة الجمع؛ ليوحي بكثرة همومه وآلامه.

ويقول ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٣٠هـ) مظهراً معرفته الشديدة بالزمان[٢]: "البسيط"

إني بلوت زماني في تقلبه ... فإن تثق بصروف الدهر لا أثق
سلني أخبرك عنها إن موردها ... لم يصف للحر حتى عاد ذا زنق
أنا الذي ظل بالأحداث مشتملا ... بين الأنام اشتمال السيف بالعلق

(١) ابن عبدون اليابري: ديوانه، ص١٢٧-١٢٨.
(٢)ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٢٩ أو ٥٣٠هـ): ديوانه، ص٢١٢.

فهو قد اختبر زمانه وتوصل إلى نتيجة مفادها إلى عدم ثبات الدنيا على حال، كما أنها سريعة الانقلاب بأهلها، توردهم موارد الهلاك والكدر.

٢- محاولة الشعراء التكيف مع الدهر ومجاراته:

بعد أن تأمل الشعراء أحوال الدهر، وعرفوا طباعه، تأكد لهم – بما لا يدع مجالاً للشك – أن المواجهة مع الزمان مواجهة خاسرة؛ فتذمروا منه وسخطوا عليه، وبالرغم من إحساسهم بقوة الدهر وجبروته، فإن ذلك لم يمنعهم من أن يحاولوا مجاراته، فأوردوا في أشعارهم ما يدل على أملهم في رضاه، فوضوا علاجاً لكثير من صروفه، وقد تجلى ذلك في وجوه عدة منها:

أ- القناعة والرضا والامتثال للقدر:

لعله من أسباب الرضا ودواعي الراحة النفسية أن تكون آمال المرء في استطاعته، فالقناعة تعد راحة للنفس، وطمأنينة للقلب؛ لذلك يقول ابن شرف القيرواني (الابن) (ت نحو ٥٣١هـ)[١]: "الكامل"

دعني أبرد بالقناعة غلة ... يأس النفوس أتم في إثلاجها
فالنفس إن تثبت على أخلاقها ... أعيا على النصاح طول لجاجها

حوادث الدهر لا مفر منها ولا مهرب، وليس أمام الإنسان إلا أن يتقبلها كما هي، وكل من لا يؤمن بذلك فهو مغرور قصير النظر: لذلك يقول ابن بقي (ت ٥٤٠هـ) رابطاً بين علاقته بالدهر ورضاه بالقدر[٢]:الكامل"

من ظن أن الدهر ليس يصيبه ... بالحادثات فإنه مغرور
فالق الزمان مهوناً لخطوبه ... وانجر حيث يجرك المقدرو

(١) ابن شرف القيرواني (الابن): شعره، ص٤٦.
(٢) ابن بقي: ديوانه، ص٣١٨.

إن الإنسان قليل الحيلة أمام تأثير الدهر؛ فإن ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) لم ير حلاً أسلم من الامتثال إلى القدر والرضى بالمكتوب، فنراه يقول[١]:

يا للزمان أعلني بزمانة ... أصبحت بالإخلاد فيها أقنع

لا برء منها يستفاد بحيلة ... فإلى الرضى بالحكم فيها المرجع

ب- الصبر على نوائب الدهر:

يعد الصبر على أذى الدهر الوجه الثاني من وجوه مجاراة الشعراء للدهر، فقد كان يقال "إن نوائب الدهر لا تدفع إلا بعزائم الصبر، وكان يقال: لا دواء لداء الدهر إلا بالصبر"[٢]. فالشاعر يشعر بوطأة صروف الدهر عليه، ولا يفارقه الألم منها، ولكنه بالرغم من ذلك لا يشكو أو يعبر أن استيائه، وإنما يحاول السيطرة على أحاسيسه، وضبط انفعالاته، يقول ابن شرف القيرواني الابن (ت نحو ٥٣١هـ)[٣]:

إذا نالك الدهر بالحادثات ... فكن رابط الجاش صعب الشكيمة

ولا تهن النفس عند الخطوب ... إن كان للنفس عندك قيمة

فوالله ما لقي الشامتون ... بأحسن من صبر نفس كريمة

فابن شرف يدعو إلى مواجهة صروف الدهر بالتذرع بالصبر وقوة القلب وشدة النفس في أنفة وإباء وعدم انقياد ويصور أبو القاسم بن عبد الله بن الجد (المئة السادسة) كيف يستطيع بصبره أن يواجه ملمات دهره، فيقول[٤]: "الطويل"

هو الدهر لا يفتا يمر ويحلو لي ... وسيان عندي ما يجد وما يبلى

إذا أشكلت يوما عليه ملمة ... فمن ظهر قلبي يستمد ويستملى

(١) ابن الأبار: ديوانه/ ص٣٥٤.
(٢) الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، ج٢/٦١.
(٣) ابن شرف القيرواني: شعره، ص٩٤.
(٤) ابن بسام (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٢/م١/٢٩٥.

سألقى بحد الصبر صم خطابه وإن صيغ فيها الشيب من حدق النبل
وأعرض عن شكواه إلا شكيه بها من هوى مرآك ضرب من الخبل

فالشاعر يشعر بتقلبات الدهر وانتقاله من حال إلى حال، ويتألم إزاء هذا التغير، ولكنه يعرض عن الشكوى ويلتزم جانب الصبر؛ لأن الشكوى قرينة الضعف، ولا يريد ابن الجد أن يظهر بمظهر ضعيف. يقول ابن حمديس (ت ٥٢٧هـ) في نص شبيه[١]: "الطويل"

تدرعت صبري جنة للنوائب فإن لم تسالم يا زمان فحارب

وقد تأمل الشعراء الحياة الإنسانية بكل جوانبها، ورأوا أن قضايا الدنيا كثيرة المغالطة؛ فقط قدمت اللئام وأخرت الكرام، وأقترت النابه وأعطت الخامل، ومن ثم سعى كثير من الشعراء إلى التآلف مع الزمان، وحاولوا التكيف معه بشتى الوسائل؛ لأنه قدر من الأقدار التي يتحتم عليهم التأقلم معه. تلك إذن صور مختلفة من الاغتراب، وألوان شتى من المكابدة والمعاناة، عاشها الكثيرون من شعراء عصري المرابطين والموحدين، وتفاعلوا معها، وحاولوا قهرها، وعله قد اتضح لنا أن الاغتراب النفسي، في أغلب الأحيان، يعد أشد قسوة من الاغتراب المكاني، ولاشك أن ما قيل من شعر في شكوى الغربة، وتصوير أوجاعها وآلامها، أكثر من أن يحصى، وقد حفلت به معظم دواوين شعراء الفترة المدروسة، ولكننا نكتفي بما قدمناه من نماذج؛ لأن رصد المشاعر هو ما نهدف إليه.

مظاهر الاغتراب السياسي وآثاره:

كانت الحياة السياسية في بلاد الأندلس قلقة شديدة الاضطراب، فهي لم تعرق الهدوء والاستقرار إلا نادراً، أو قد ينشأ لنزاع سياسي ما. "فالتحولات السياسية وما يتبعها أو يرافقها من نزوح وتبدل، تعد مصدر

(١) ابن حمديس: ديوانه، ص٢٨.

هم وأرق للأندلسيين الذين كانت تطاردهم فكرة النزوح والغربة، فالتموجات الاجتماعية كانت تخل بتوازن ذلك المجتمع، وتترك فيه آثاراً نفسية، أضف إلى ذلك الحاجة إلى المال والهرب من الضرائب والظلم، وكانت النتيجة بروز شخصيات تنتحل مهناً لا تعرفها، وتغير أزياءها وعقائدها، وترفع شعارات، وتنادي بفلسفة جديدة للحياة، تتجلى فيها روح متشائمة، ونفس رازحة تحت وطأة المأساة(١).

ففي عصر المرابطين والموحدين عم البلاء، واضطربت فيهما الأحوال السياسية، وسقطت مدن وزالت حكومات(٢)، وكان الشعر الأندلسي بمثابة السجل الذي يعي كل هذه الأحداث، فمدينة طليطلة تعد أول المدن الساقطة في يد الأعداء (٤٧٩هـ)، وكان سقوطها فاجعة عميقة للمسلمين، وقد بكاها الشعراء، ورثوا بقصائد تنبض بالحزن، وتغافلوا عن ذكر ملوكهم؛ لأنهم تهاونوا في الدفاع عنها، وقد عز على الشاعر عبد الله بن فرج العسال (ت٤٨٧هـ) أن يهجر طليطلة الجميلة التي تميزت بظلالها الوارفة، وحدائقها الخضراء، فقال(٣): "الوافر"

أنتـــرك دورنـــا ونفـــر عنهـــا ... ولـــيس لنـــا وراء البحـــر دور
وظـــل وارف وخريـــر مـــاء ... فـــلا قـــر هنـــاك، ولا حـــروز
ويؤكـــل مـــن فواكههـــا طـــري ... ويشـــرب مـــن جـــداولها نميـــر

إلى أن يقول(٤):

لقـد ذهـب اليقـين فـلا يقـين ... وغـــر القـــوم بـــالله الغـــرور
فـــلا ديـــن ولا دنيـــا ولكـــن ... غـــرور بالمعيشـــة مـــا غـــرور

(١) د. ريـاض قزيحـة: الفكاهـة فـي الأدب الأندلسـي، المكتبـة العصـرية، بيـروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٢٤.
(٢) ينظر المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ح٤٤٦/١.
(٣) السابق نفسه، ح٨٤/٦.
(٤) السابق نفسه، الموضع ذاته.

إذا مـــا يكـــن صـــبر جميـــل فلـــيس بنـــافع عـــدد كبيـــر
مضـى الإسـلام فابـك دمـا عليـه فمـا ينفـى الجـوى الـدمع الغزيـر

لقد أبانت هذه الأبيات عن صدق عاطفة الشاعر وتأججها في نفسه، فصرخاته نابعة من قلب مفعم بالأسى والحزن، وهي صادرة أيضاً من قلب محب مخلص لوطن، لا يرضى بالواقع المرير الذي حل بمدينته. كل ذلك بعد أن أعرب عن بلوغ الصبر منتهاه، وأن خضوع المسلمين واستسلامهم للنصارى الأسبان، أصبح أمراً لا يطاق، فهو غاضب؛ لأن الإسلام أضحى ممتهناً بعد أن رضى المسلمون بالراحة في الظلال الوريفة.

الغربة والحنين:

هناك صلة وثيقة بين الغربة والحنين، فلولا الغربة ما كان الحنين، وتنقسم الغربة إلى نوعين:

- طوعية، تكون بالسفر لطلب العمل والرزق
- إجبارية، تكون بالطرد أو الهروب.

الحنين ببعده المكاني لم يقتصر على الشعراء الأندلسيين فحسب، بل تعداه إلى الشعراء المحدثين ولكن مع اتساع مداه ليكون حنيناً زمكانياً، فالشعراء الأندلسيون عاشوا بالفعل في الأندلس، ولكنهم ولظروف ما خرجوا من مدنهم التي عشقوها، مما جعلهم يشعرون بالغربة والحنين إلى تلك الحياة، أما الشعراء المحدثون فإنهم – وبطبيعة الحال – لم يحيوا في الأندلس، ولكنهم ولظروف ما جعلتهم يزورون إسبانيا إما بسبب النفي أو لظروف عمل أي لأي سبب آخر، أي أن تواجدهم في إسبانيا (أندلس الماضي) هو ما جعلهم يحنون لهذا الماضي التليد المتصل بتكوينهم الفكري والوجداني، فبوجودهم هناك ورؤيتهم معالم الحضارة الغائبة الحاضرة، شعروا بالألفة الروحية مع هذا المجتمع الغائب الحاضر، وتقول فاطمة طحطح عن الغربة عند

الأندلسيين: "هي غربة أنطولوجية وجودية، غربة المكان، غربة النفي في وطن غير الوطن ووسط أهل غير الأهل، غربة الروح عن الجذور"(١). يرتبط الإنسان ارتباطاً وثيقاً وحيوياً بالمكان الذي يعيش فيه؛ فالإنسان يعيش في جسده وبه، ويموت إذا أصيب بمكروه، والظاهرة التي تجمع البشر بأسرهم هي أن الفرد يدافع دفاعاً مستميتاً عن حيزه، وكثيراً ما يمنع الآخرين من الولوج إليه"(٢).

إن المتابع لشعر الحنين الأندلسي يجده يدور في ثلاثة محاور:

الأول صور فيه الشعراء حنينهم إلى الوطن والأهل (حنيناً للمكان)

كقول ابن خفاجة:

إن للجنة في الأندلس مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب ودجى ظلمتها من لعس
فإذا ما هبت الريح صبا صحت واشوقي إلى الأندلس

- والثاني حن فيه الشعراء إلى أمكان معينة؛ ولذكريات خاصة به، تحمل شعوراً ما (حنيناً للزمكان) وتلك الصور تظهر في أشعار المعتمدة سواء التي حن فيها إلى شلب، أو التي حن فيها إلى إشبيلية بعد أسره، وعلى الرغم من اختلاف الجو النفسي بين التجربتين، فإنهما يتفقان في فكرة زمكانية الحنين التي تحاول البحث مناقشتها.
- أما الثالث فهو حنين الشعراء الناتج عن غربة لأسباب علمية، فلم تكن غربة الأندلسيين عن بلادهم كلها قسرية مجبرون عليها، ففي كثير من الأحيان ارتحلوا عنها لأسباب علمية وخاصة لدراسة علوم الفقه واللغة، وقد كثر توافد الأندلسيين على المشرق؛ لتلقي

(١) فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، ص٤٦.
(٢) المرجع السابق، ص٣٨.

علوم الفقه ككل من (أحمد بن عباد بن عبدون[١]، وأبي عبد الله محمد بن وازع الضرير، وأبي عبد الله محمد بن قاسم بن سيار، ومسلمة بن سليمان)، وفي مجال علوم اللغة يوجد (محمد بن عبد الله الغازي، وأبي بكر يحيى بن مالك)[٢].... الخ

الغربة الطواعية:

ولم يكن الحنين ناتجاً عن البعد القسري فقط، بل أحياناً كان فراقهم لمدنهم لأسباب علمية أو عملية، فكثيرا ما سافر أهل الأندلس لتلقي العلم من بلاد المشرق، فكانوا يرسلون أشواقهم الحارة لبلادهم شعرا يوضح مكانة وطنهم في قلوبهم؛ فعبد الملك بن حبيب السلمي كتب قصيدة عبر فيها عن مدى اشتياقه إلى موطنه وأهله، يقول عنها ابن الخطيب: "أنشد الفرضي مما كتب به إلى أهله من المشرق سنة عشر ومايتين"[٣].

أحب بلاد الغرب والغرب موطني ... ألا كل غربي إلي حبيب
فيا جسد أضناه شوق كأنه ... إذا انتضيت عنه الثياب قضيب
بليت وأبلاني اغترابي ونأيه ... وطول مقامي بالحجاز أجوب
فما الداء إلا أن تكون بغربة ... وحسبك داء أن يكون غريب
فياليت شعري هل أبيتن ليله ... بأكناف نهر الثلج[٤] وهو يصوب
يصوب

الغربة القسرية:

تولدت عن غربة الشاعر القسرية نتيجة لسقوط مدينة أو نفي أو تغريب، وهذا النوع من الحنين لم يكن وليد الشعر الأندلسي بل كان

(١) أحمد بن عباد بن عبدون، عاش في القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي، وهو من قرطبة.
(٢) د. أكرم حسين غضبان، صلات البصرة الحضارية مع بلاد الأندلس، مجلة دراسات البصرة، السنة الثانية، العدد ١، ٢٠٠٧.
(٣) لسانه الدين بن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٥٥١.
(٤) نهر التلج أو نهر شنيل أو نهر غرناطة، وهو نهر يقع في جنوب شرق إسبانيا.

معروفا منذ العصر الجاهلي تحت مسمى المقدمة الطللية، كما عدته البحث إلى هذا الزمان البائد، والمكان الدارس كما قال امرؤ القيس.

يدخل الحنين في باب الرثاء لما فيه من تذكر المكان، واستحضار زمن مضى والتفجع عليه، والحنين معروف في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي؛ فقد كان الشعراء الجاهليون يبدءون قصائدهم بالبكاء على الأطلال، وهذا يعد حنيناً لتلك الأماكن ولماضيهم بها، فامرؤ القيس يقول في معلقته:

قفا نبك من ذكرى خبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ولقد بدأ شعر الحنين الأندلسي بهذا المعنى مع الفتنة المبيرة ورحيل معظم سكان قرطبة عنها وشعورهم بالحنين والاشتياق إليها عبر بعض الشعراء عن هذا الشعور شعرا بديعا، ومن هؤلاء الشعراء أبي بكر محمد بن قاسم أشكبهاط[١]، فأصله من وادي الحجارة ونشأ في قرطبة وساد فيها، ومن شعره وقد اجتاز بحلب[٢]:

أين أقصى الغرب من أرض حلب أمل في الغرب موصولا بتعب
حن في شوق إلى وطنه من جفاه صبره لما اغترب
جال في الأرض لجاجا حائرا بين شوق وعناء ونصب
يا أحبابي اسمعوا بعض الذي يتلقاه الطريد المغترب
وليكن زجرا لكم عن غربة يرجع الرأس لديها كالذنب
واصلوا طعنا وضربا دائما هو عندي بين قومي كالضرب
ولئن قاسيت ما قاسيته فبما أبصر لحظى من عجب

وعلى الرغم من عدم مغادرة ابن شهيد لقرطبة في تلك الفترة، لكنه أبدع أشعارا يبكي فيها ديارها وعمرانها، وأيضا أهلها الذين انقلبت

(١) يعرف بإشكهاندة وارتحل إلى المشرق لما نبت به حضرة قرطبة عند تقلب دولها وتحول ملوكها وجال في العراق واجتاز بحلب ودمشق، منقول عن المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص٣١.
(٢) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج٢، ٣١.

صروف الدهر عليهم، فلم يعد هناك شئ كما هو، والحنين هنا حنينا زمانيا:

عهدي بها والشمل فيها جامع من أهلها والغش فيها أخضر
والدار قد ضرب الكمال رواقه فيها وباع النقص فيها يقصر
ورياح زهرتها تلوح عليهم بروائح يفتر منها العنبر(١)

ويقول أيضا، باكيا على تلك الأيام المنصرمة، وكما مر فإن البكاء أو الرثاء ضرب من الحنين، فالحنين والبكاء مقترنين اقتران اللذة بالألم:

أسفي على دار عهدت ربوعها وظباؤها بفنائها تتبختر
أيام كانت كف كل سلامة تسمو إليها بالسلام وتبدر
حزني على سرواتها ورواتها وثقاتها وحماتها يتكرر
نفسي على آلائها وصفائها وبهائها وسنائها تتحسر
كبدي على علمائها حلمائها أدبائها ظرفائها تتفطر(٢)

قد قدر على الأندلسيين أن يعيشوا محنة الاغتراب بسبب سقوط المدن الأندلسية المتكرر تارة بسبب الانقسامات، وتارة لسقوطها في أيدي الإسبان، الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة من ديارهم، وترك أوطانهم، وفراق أهلهم وأحبابهم إلى غير رجعة؛ فذاقوا مرارة الضياع والتشتت، فمنهم من نزل المغرب ومنهم من رحل إلى المشرق، وكانت تجربة الغربة عميقة في نفوسهم؛ فنظموا أشعارا باكية من شدة اللوعة والحسرة والتشوق والمعاناة، فكانوا كلما اشتدت عليهم وطأة الاغتراب

(١) ابن شهيد، الديوان، ص١١٠.
(٢) نفس المصدر، ص١١٠- ١١١.

ونالت من نفوسهم فزع الشعراء منهم إلى الشعر يبثونه توقهم وحنينهم المشبوب إلى أوطانهم وأهليهم وأحبابهم(١).

ابن خفاجة وحنينه إلى شُقر:

إن رحيل ابن خفاجة عن شقر كان نتيجة لأحداث سياسية أجبرته على ترك موطنه المحبب إلى قلبه، وقد ترك بلنسية بعد سقوطها في يد السيد القنبيطور – الذي أحرق جماعة من أعلام بلنسية– فما كان أمام ابن خفاجة إلا أن ينجو بنفسه ويرحل مع الجموع إلى عدوة المغرب(٢).

تشوق ابن خفاجة لمعاهدة بشقر، وندب ماضيه فيها "وهو في هذه القصيدة يحن إلى شقر ويبكيها متخذا من الطبيعة وسيلة لبث أفكاره وعواطفه؛ نادباً الأماكن التي كان يتردد عليها كالمرج والكنيسة والشط، وفيها من الذكريات ما لا يظن أن لن تعود(٣)"

لقد بلغ تعلق ابن خفاجة ببلدته شقر حدا جعله لا يطيق صبرا عنها، إذا ما كتب الله له فراقا أو بعدا؛ وما إن خرج عنها مضطرا ونزل غيرها من المدن حتى صدرت عنه قصائد في الحنين إلى جزيرته تنبض بصدق العاطفة ورهافة الإحساس وشدة شغفه بموطنه الذي لا يعادله شغف"(٤):

عيشة أقبلت يشهى جنابها	**وارف ظلها لذيذ كراها**
فاندب المرج فالكنيسة فالشط	**وقل آه يا معيد هواها**
آه من فرقة لغير تلاق	**آه من دار لا يجيب صداها**
ما لعيني تبكي عليها وقلبي	**يتمنى سواه لو فداها**

(١) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص٢٧٣.
(٢) فتحية دغموش، تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة، ص٣٤.
(٣) د. بسيم عبد العظيم: الصورة الشعرية عند ابن خفاجة، ص٢٠٤.
(٤) د. محمد عويد، المكان في الشعر الأندلسي، ص٣٠٢.

فعندما اجتاح الإسبان بزعامة السيد القنبيطور مناطق شرقي الأندلس؛ فاحتل مدينة بلنسية وروع أهلها وأحرق عددا من زعمائها، وما كان على ابن خفاجة إلا أن ينجو بنفسه خائفا مذعورا مع جموع الراحلين؛ ليحط الرحال في عدوة المغرب، وهكذا أمضى ابن خفاجة في الحنين وبقي على هذه الحال حتى استطاع استرداد بلنسية وما حولها"(١).

الحنين في شعر المعتمد:

تبلورت في أشعار الحنين عند المعتمد بن عباد زمكانية الحنين كما تتصورها البحث، فتجمع أشعاره بين الغربتين (القسرية، والطوعية)، فالغربة الطوعية تظهر في حنينه إلى شلب وذكرياته بها، والقسرية تظهر في أشعاره التي قالها أثناء محنته بأغمات، وفيما يأتي ستفصل البحث الحديث في هذا الموضوع.

لقد ظهرت بواكير شعر الحنين عند المعتمد عندما كتب قصيدة في حنينه لها، وقد بعثه إلى وإليه هناك وصديقه أبي بكر بن عمار

وعن ذلك يقول الأستاذ أحمد أحمد بدوي: "والمعتمد يسجل في شعره ما ظفر به من متع حسية بالجمال، ويحن إليها إذا نأى عنها، وشعره في الشوق على الجمال المفارق بارع قوي، ومن ذلك ما كتب به إلى ابن عمار يذكر عهده بشلب (إحدى المدن الأندلسية) عندما كان هو واليا عليها ولياليه السعيدة بها، ومعاهد لهوه فيها، فقال(٢):

ألا حي أوطاني بشلب، أبا بكر ... وسهلن هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على قصر الشراجيب عن فتى ... له أبدا شوق على ذلك القصر
منازل أساد وبيض نواعم ... فناهيك من غيل وناهيك من خدر(٣)

(١) د. عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، ص١٩٢.
(٢) أ. أحمد أحمد البدوي، شعر المعتمد بن عباد، مجلة الرسالة، العدد ٨٣١، بتاريخ ٦-٦-١٩٤٩.
١٩٤٩.
(٣) ديوان المعتمد بن عباد، ص١١.

حنينه إلى إشبيلية:

حدثت تقلبات وأحداث عظام أدت إلى سقوط طليطلة، مما جعل المرابطين، – بطلب ملوك الطوائف – يعبرون إلى الأندلس لنجدتهم من نصارى الشمال، لتصبح الأندلس تابعة للمرابطين بعدما أقصوا عنها ملوك الطوائف، وعلى رأسهم المعتمد بن عباد إلى عدة المغرب بأغمات، وقد صدر عنه أشعار بالغة التأثير في منفاه حنينا إلى ماضيه ومملكته بإشبيليه، وقد بعث بقصيدة لابن حمديس يقول فيها:

غريب بأرض المغربين أسير ... سيبكي عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا ... وينهل دمع بينهن غزير
شيبكيه في زاهيه والزاهر الندى ... وطلابه والعرف ثم نكير[1]

إن أشعار الحنين تبدو في أفجع صورها عند المعتمد بن عباد وهذا ما ستتناوله الأسطر التالية؛ فلقد شعر بالحنين إلى ملكه بكل مفرداته، من متنزهات، وقصور، ورفاهية عيش.... الخ، فيتذكر قصوره وما بها من جمال؛ فيقول:

فياليت شعري هل أبيتن ليلة ... أمامي وخلفي روضة وغدير
بمنبته الزيتون مورثة العلا ... تغني قيان أو ترن طيور
بزاهرها السامي الذرا جاده الحياد ... تشير الثريا حولنا ونشير
ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده ... غيورين والصب المحب غيور
تراه عسيرا أم يسيرا منالـه ... ألا كل ما شاء الإله يسير[2]

لقد ذكر قصوره، وكأنه يتغزل بها؛ ففي كل بيت ذكر لقصر ما مع تفصيل لصفاته الجمالية، وهذا دليل على على شدة غربته النفسية والمكانية، ومقارنة بين حاليه السابقة والحالية، وبداية الأبيات تثير

(١) المصدر السابق، ص٩٨.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٩.

الشفقة على حاله، بتساؤله "هل أبيتن ليلة؟" فبعدما كانت حياته منعمة، صارت أقصى آماله العودة ولو لليلة لهذا الماضي.

مما سبق يتضح أن الحنين هو ضرب من الرثاء/ البكاء – حتى لو ينتج ذلك الحنين عن فقدان المدن أو الرحيل – وذلك لأن الحنين ببعديه الزماني والمكاني يكون إما لماض أو لأماكن أو لأشخاص، فينتج عن الذكريات المبهجة للنفس، التي سرعان ما تتحول إلى تحسر على تلك الذكريات المنصرمة.

الخاتمة

من يتابع تاريخ دولتي المرابطين والموحدين لابد أن تستوقفه وجوه شبه عديدة بينهما، سواء على مستوى النشأة أو في الانهيار؛ فكلا الدولتين من البربر، ولا سميهما دلالة دينية؛ هؤلاء تسموا بالموحدين لاهتمامهم بعلم الاعتقاد دون سائر أهل تلك الجهة من المغرب(١):

ثم بعد ذلك لم تستقر الأمور على صورة واحدة، إذ سرعان ما تنقلب البداية الحسنة إلى اضطراب وفساد، وتبدأ الأمور بالإفلات من يدي الحاكم لتشعب في طرق عدة، كأن تنتقل السلطة إلى أيدي النساء، كما في عهد علي بن يوسف من المرابطين، كما أشار إلى ذلك صاحب "المعجب"(٢):

وربما كان أهم من ذلك هو تسلط الفقهاء على سلوك الناس، وقد أدى قيام الدولة المرابطية على الأساس الديني إلى تسلمها الأمور إلى الفقهاء ثقة بهم ورغبة في أن يكون صوت الدين هو الأعلى، حتى إنه عرف عن علي بن يوسف أنه ما كان ليقطع أمراً بغير مشورتهم، ولا يولي قاضياً إلا أوصاه بمشاورة أربعة فقهاء قبل أن يقضي في أمر ما. بيد أن الأمر لم يستقم على النهج الذي أرادته الدولة؛ فقد اشتهرت عن الفقهاء مثالب عديدة، وتقلب عليهم العامة .

(١) ينظر: عبد الواحد المركشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٠٠، ١٧٨، ١٨٤. ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج١/٢٦.

(٢) ينظر: عبد الواحد المركشي: ص١٧٧.

المراجع :

- ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ): الحلة السيراء في أشعار الأمراء، تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١٩٦٣م، ج١/٣٧.
- ابن الجوزي: صيد الخاطر، ضبط وتحقيق محمد الغزالي، دار الكتب الحديث، القاهرة، دون تاريخ، ص١٣٨.
- ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٢٩ أو ٥٣٠هـ): ديوانه، ص٢١٢.
- ابن اللبانة: شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، بغداد ط١٩٧٧، ص١٤.
- ابن بسام (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٢/م١/٢٩٥.
- ابن بسام (ت ٥٤٢هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤/ م٣/ ٢٧٧.
- ابن جبير الكناني (ت٦١٤هـ): شعره، ص٤٠. وقد ذكر المحقق أن البيت من بحر الكامل، والصواب أنه من بحر الطويل.
- ابن حمديس: ديوانه، صححه وقدم له د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١٩٦٠،.
- ابن خاقان (ت ٥٢٩هـ) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، ص٤٠٠.
- ابن دارج القسطلي: ديوانه، تحقيق د. محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط١٩٦١م، ص٤١.
- ابن سعيد (ت ٦٨٤هـ): المغرب في حلي المغرب، ج١/ ١٧٧.
- ابن سهل: ديوانه، تحقيق وتقديم د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١٩٨٠، ص٢٥٣.

- ابن شرف القيرواني (الابن) شعره جمعه ووثق مادته وقدم له د. أشرف محمود نجا، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط٢٠٠٨، ص٩٩.
- ابن عبدون اليابري: ديوانه، إعداد وتحقق سليم التنير، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١٩٨٨م، ص١٨٥.
- ابن منظور (ت٧١١هـ): لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م، ج١، مادة حنن، ومادة غرب.
- أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ودار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص٧٩.
- أحمد أحمد البدوي، شعر المعتمد بن عباد، مجلة الرسالة، العدد ٨٣١، بتاريخ ٦-٦-١٩٤٩.
- أحمد بن عباد بن عبدون، عاش في القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي، وهو من قرطبة.
- أحمد عودة الله الشقيرات: الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٨٧م، ص١٢.
- أسامة إبراهيم أحمد: شعر المعولي دراسة فنية، رسالة ماجستير مودعة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، تحت رقم ١٠٥٧٧، ١٩٩٦، ص٩٥.
- الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ): الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، دون تاريخ، ج٦/٣٥.

▪الأعمى التطيلي: ديوانه، ومجموعة من موشحاته، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١٩٨٩م، ص٢٤٧.
▪أكرم حسين غضبان، صلات البصرة الحضارية مع بلاد الأندلس، مجلة دراسات البصرة، السنة الثانية، العدد ١، ٢٠٠٧.
▪أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي: ديوانه، تحقيق عبد الله محمد الهواني، دار الأوزاعي، بيروت، ط١٩٩٠، ص٤٥.
▪أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١٩٥٥، ص٧٩.
▪بسيم عبد العظيم، الصورة الشعرية، ص٢٠٢، نقلاً عن د. رشا غانم، الشعر في شرقي الأندلس
▪الجاحظ: رسائل الجاحظ: "رسالة في الحنين إلى الأوطان"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة، ط١٩٦٥م، ج٢/٤٠٩.
▪الجزار السرقسطي: روضة المحاسن وعمدة المحاسن" وفصول من كتابه بادرة العصر وفائدة المصر، صنعة أبي عبد الله محمد بن عبد الله مطروح السرقسطي (ت٦٠٩)، تحقيق ودراسة د. منجد مصطفى بهجت، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨، ص١٦٦-١٦٧.
▪حازم القرطاجني: ديوانه، تحقيق عثمان الكعاك، دار الثقافة، بيروت، ط١٩٦٤، ص٣٢.
▪حازم القرطاجني: قصائده ومكقطعاته، ص٤٨، واللوى هو ألم البطن والغمى هو كساد يغطي به الفرس: ينظر الفيروزبادي (ت٨١٧): القاموس المحيط، مادة لوى، ومادة غمى.

■حازم القرطاجني: كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢ ١٩٨١م، ص٢١ وما بعدها.
■حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب، بيروت، دار المغرب الإسلامي، ١٩٨١، ص٢١.
■الحميدي (ت ٤٨٨هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط١٩٦٦، ص١٩٦.
■ذكرى بنت صالح الفريدي، بناء الزمكانية في رواية قماشة العليان، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القسيم، المملكة العربية السعودية ٢٠١٢، ص٤.
■راندا الإمام يوسف سراج الدين، الحنين في الشعر الأندلسي، رسالة ماجستير، ص١٤.
■الرصافي: ديوانه، جمعة وقدم له، د. إحسان عباس، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م، ص٦٨-٦٩.
■رياض قزيحة: الفكاهة في الأدب الأندلسي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٢٤.
■ريتشارد شاخت: الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسين، دار شرقيات، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م، ص١٤.
■السلفي (ت ٥٧٦هـ): أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر، ٥٣-٥٤.
■سيزا قاسم، القارئ والنص "العلامة والدلالة"، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣، ص٣٧.

▪عباس الجراري: الأمير الشاعر أو الربيع سليمان الموحدي: عصره وحياته وشعره، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١٩٧٤م، ص١٥٣.
▪عبد الواحد المركشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٠٠، ١٧٨، ١٨٤. ومحمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج١/٢٦.
▪العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ): خريدة القصر وجريدة العصر، ج٣/٥٧٣.
▪الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩هـ): قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ج٢/ ٧٧٠.
▪فوزي سعد عيسى: الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢ ١٩٩٦م، ص١١٥.
▪فوزي عيسى: ديوان الشعر الصقلي، جمع وتحقيق ودراسة، دار الوفاء للطباعة الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧، ص٤٩.
▪قيس النوري: الاغتراب – اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً – بحث بمجلة عالم الفكر، الكويت، مج ١٠، ع١، ١٩٧٩م، ص١٣.
▪لاسل أبركرومبي: قواعد النقد الأدبي، ترجمة د. محمد عوض محمد، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد ط٢، ١٩٨٦م، ص٤٧.
▪لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤/٢٨٥.
▪ماهر حسن فهمي: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط١٩٧٠م، ص٧.

■محمد عويد الطربولي: الأعمى التطليلي شاعر عصر المرابطين، دراسة موضوعية فنية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢٠٠٥، ص٧٦.
■محمد مجيد السعيد: استدراكات على ديوان الأعمى التطيلي بحث بمجلة المورد، العراق، العدد ٢ المجلد٦، ١٩٧٧م، ص٣٠٢.
■المراكشي (ت ٧٠٣هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ط١٩٦٤م، ج١٠٤/٤.
■مصطفى عوض الكريم: ابن صارة الشنتريني حياته وشعره، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٩٥٨، ص٨٦.
■المقري (ت ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١٩٦٨م، ج٥٤/٣.
■المقري (ت ١٠٤١هـ): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٥٢٧/٢.
■ميخائيل باختين، (أشكال الزمان والمكان في الرواية)، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٠، ص٥.
■نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١٩٧٠م، ص٢٥٣.

سابعًا :
البلاغة والنقد